سلسلة قصص قصيرة (1)

أولادُ الحرامِ

قصص قصيرة

جمال الجزيري

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

طبعة أولى

مايو 2015

سلسلة قصص قصيرة (1)

سلسلة تصدر عن حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

المؤلف: مجموعة من الكتَّاب العرب من أعضاء مجموعة سنا الومضة القصصية

العنوان: أولادُ الحرامِ

التصنيف: قصص قصيرة [فن السرد، أدب عربي معاصر]

الطبعة الأولى: مايو 2015

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

الناشر: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها حمارتك العرجا، على إيميل الدار باسم الدكتور جمال الجزيري:

hemartak@gmail.com

إشارة

نشرت هذه القصص ورقيا لأول مرة في مجموعتي "بدايات قلقة" في سلسلة (الكتاب الأول) بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر، 2004؛ وكُتبتَ هذه القصص في تسعينات القرن العشرين

تثاقُل[1]

يغرس عمي المحراث فى التربة الرطبة فتسير البقرتان فى توازن معهود. أتتبع انشقاق الأرض العبقرى وفى يدي صفيحة مملوءة بالفول السوداني، التقط سيمفونية عزف البقرتين فأرمى الحبات فى الخط بانتظام. رجلان يتعاركان، لماذا يتعاركان؟ حمارته قطفتْ بعض عيدان البرسيم من غيط جارة!!! يشق المحراثُ الأرضَ، تشق الاحزانُ جسدى (مساء أول أمس أنزلني السائق فى منتصف الطريق عندما انتهى الأسفلت، أخذ أجرته وتركني وحيداً وسط الظلام، سمعتُ طلقات رصاص، نبحتْ كلابٌ، فضجَّ قلبي وتراكمت فى داخلي أشياءٌ، ظلَّت الهواجسُ تطاردني، ثقلتُ).

يقلِّم أبي شجرة العنب، امتدتْ أفرعُها كثيرًا وبدأتْ تتسلق النخلَ وحيطانَ البيت... الرقابةُ قلّمت الروايةَ، حذفتْ

[1] نُشرت هذه القصة في مجموعة بدايات قلقة بعنوان "توازٍ"، وكان عنوانها الأصلي الذي اشتهرت به بين أصدقائي هو "تثاقل"، ها أنا أعيده لها.

منها ما شاءتْ وبعد ذلك حذفتها من قائمة الأعمال القادمة. لماذا يا ترى؟ يقولون إنها لا تخضع للمعايير المتعارف عليها، يتحججون بأنها تخلِّد صاحبنا، يتعنَّتون إنها تصوِّر شخصاً مغضوباً عليه. قَوْلٌ على قولٍ، كلامٌ على كلامٍ، وصليلُ صوت مظلم. المجد لك صاحبنا، فمهما كان أو سيكون، فى ضميرنا تمرح، ووضاءتك النورانية تنير الصفحات.

أرمي حبة، تقع خارج الخط، يأتي جارنا بشايٍ، أرتشفُ رشفة، لاذعة المرارة، صديقي أخذ مني إحدى قصصي ليقرأها ، فتقدم بها إلى المسابقة باسمه، أُخرجُ يدي، أرمي ما بها، تنزل حبات كثيرة، يلحظ عمي، يضجر، يلسع الرخو(2) ظهْرَ البقرة. تخرج دودة من رحم الأرض، قطَعَها المحراثُ نصفين، تتقلص، ترتخي، تسير فى اتجاهين متقابلين.... تقلَّص طالبٌ، توتَّر، ثار، تجرَّأ، قبَّل أستاذتَه سيئةَ السمعة فى المعمل.

---

(2) أداة مثل الكرباج تضرب بها البقرة أثناء حرث الأرض.

عصفور يترنم بأهازيجه على شجرة قريبة، يبصر حبة، يندفع إليها، ى... ل... ت.... ق... ط... هـ... ا، تتزوبع ذراتُ الهواء، ينزف دمًا فيلتقطه صاحبُ الفخ بانتشاء. تتراكم فيَّ أشياء، أتثاقل، تتعالى أصوات المتشاجرين، تتقدم بقرة، ينحرف المحراث، فيضرب عمي البقرة المتأخرة، ثم ما يلبث أن يشد البقرة المتقدمة من مَقْرَنِهَا فيقع الْحِلْسِ من على رقبتها، يتثاقل جسدي، أتباطأ، يلتفت إلىّ عمي بغيظ.

أرمى حبة. كيف؟!! أتصعد؟! أتنزل فى فمى؟! أتسد حلقى؟!! أشعر بغصة، صوت أذان يتسرَّب من بعيد، يراودني إحساسٌ بأن كل المصلين ستلدغهم الثعابين – قل لذوى العيون الحجرية إن هنا إسقاطا وإلا كفّروك، فرقوا بينك وبين زوجتك، آسف خطيبتك التى تحبها كثيراً – لا شيء يهمُّ صديقي المروي عليه، فعندما يضيق أفق التفكير، وعندما يتدخل أناس لا يملكون الكفاءة أو الأهلية الأدبية، أو قل المعرفة بمجريات الأدب، فقل على الأدب السلام –

تنعكس أشعة الشمس على زجاج ساعتي، تلمع فى رأسي كلمات القصة التي عرضتُها على أحد أساتذتي، فوبَّخني وقال: "القصة قصتي"، وقرأتها منذ أسبوع باسمه... يزداد تثاقل جسمي...

تقع الصفيحة، أثقل من كل الجبال أقع، أحس برطوبة التربة التى خرجت إلى الشمس، أشق جسدي نصفين، أفتحه واسعاً ليتعرَّض للشمس، رمادٌ يغطِّيني، يسيل مني دم أسود، يتعامد على يميني ويساري، تتجمع القرادين، تنقِّي الديدان مني، صوت عبد الباسط عبد الصمد قادم من المسجد يتلو سورة يوسف، صوت أم كلثوم ينبعث من الراديو تحت الشجرة تشدو: "ياللى ظلمتوا القص وقولتوا وعدتوا عليه، العيب فيكوا لا فى نقادكوا، أما القص يا عينى عليه"... يتسرَّب الصوتان إلى أذنيّ، يتغلغلان، يحركان ذراتي، فتتطاير ذرات رماد، يتجمع لون القرادين الأبيض، يدخل صدري، أشعر بخفَّةٍ، الشمس تكسبني طاقة، فأزيح باقي الرماد، يلسعني الجمر، أشتعل، ينصهر نصفاي، يلتئم

جسمي، يتجمد الدم الذى خرج مني، أنهض، أتناسى، أعاود القاء الحبات، يمر المحراث، يفتت الدم المتجمد، تلتهمه التربة.

1994

أكلُ الأرزِ

سيؤذِّن العصرُ. وستجدكَ كعادتكَ تخرج من بيتكم، تتطاير بين البيوت، تلم العيال، تجعلون (محمد) يطلع النخلة ليصطاد الزرازير من الأعشاش. لن ينسى بالطبع أن يأخذ معه بَكَرَةَ الْفَتْلَةِ. تنظرون إلى النخلة العالية، ويصعد بلا خوف (أصله متعود كل يوم يطلع ويجيب الزرازير). بعدما يقشّر (السِّلَّاعَ) من على الجريد، يجلس فى مكان (واتق)، يمسك الجريدة بيد ويُدخلُ اليدَ الأخرى في الأعشاش. سينظر فى العش جيداً: إذا كانت الزرزورة ريشها أصفر يتركها مكانها إلى أن تكبر، أما إذا كان الريش أسود، يمسكها ويربطها من رجلها بالفتلة وينزلها لكم، ستأخذها البنت ليلى (تُسَمِّي عليها وتقطع رقبتها بالموس اللى سرقته من أبيها)...

عندما يمتلئ الكيسُ سينزل محمد، يمسح العرق بكُم جلبابه ويزعق وهو يبرم شَنَبًا ليس له وجود (الشاي يا بنت). عندئذ ستسرع ليلى، تملأ كوباً بالماء، تميل إلى الأرض

وتلتقط سلاعة، تمسحها فى جلبابها وتحرك بها الكوب. سيمد يده إليها، يأخذه منها ويقول ضاحكاً (أصيلة يا بنت الناس).

ستقسِّمون الأدوار: يتبرع إثنان بلم العفش والبوص، يجري ثالث إلى (الطرمبة) ويملأ الجردل بالماء. بينما يجري رابع إلى بيته و(يسرق) حَلَّةً. وستجلس ليلى لتبني الكانونَ، فتضع قالبين طوب فوق بعضهما وتترك مساحة تكفى الحلة، ثم تضع قالبين آخرين. تحط الزرازير فى الحلة المملوءة بالماء، ثم تشعل النار فى العفش.

عندما تغلى الحلة (على الآخر)، ستُخرج البنتُ الزرازيرَ. تنتف الريش وتتأكد من أن كل الزرازير نظيفة. ساعتها ستملأ الحلة بالماء وتضع بها الزرازير وحبة ملحٍ. ستجرى إلى بيتكم تدخل رأسك فى (الخوخة)، تسحب ملعقة وتدخلها فى (بِرَامِ) السمنة، ستحاول ألا يراك أحد، وعندما تتأكد من أن أمك مشغولة بحلب البقرة تجرى خارجاً وأنت تدس معلقة السمنة فى كم جلبابك الواسع...

ستجدهم منتظرين وعيونهم تبص على باب بيتكم. ستخرج المعلقة من كمك، فتخطفها البنت ليلى وتحطها فى الحلة. عندئذ سيحوطونك، ويدورون حولك، وكل عيل يمسك يد العيل الأخر. فتقول (افتحوا الباب ده)، ويردون عليك (الجاموسة والدة).. ولن ينفتح أي باب إلا عندما تستوي الزرازير.

تخرج ليلى الزرازير ويكون محمد قد (سرق) شوية ملوخية من بيتهم. ستعمل ليلى ملوخية (شَلَوْلَوْ) وتجلسون، يُخرج كل واحد منكم الرغيف الذى (سرقه) من بيتهم وتأكلون. ستتعاركون على من يوزع الزرازير فتخطف ليلى الحلة من أيديكم وتعطي كل واحد نصيبَه.

ستذهب إلى بيتكم تفتش عن المكان الذى دسَّتْ فيه أمك (ماجور) اللبن. وستملأ (سطل) الماء الفارغ. سيكون محمد قد أحضر كَفَّيْنِ من الأر،ز وستجلس ليلى تجهز (رز بلبن). لن تأكلوه بالطبع، فعندما تبرد الحلة ستلفُّونها بكيس بلاستيك كبير، وتدفنونها فى كومة السباخ بجوار شونه التبن. عندما

تبدأ الدنيا فى الظلام، سيذهب كل منكم إلى جدته لتحكي له حواديت كثيرة وتتركون الأزر حتى تأكلوه فى الصباح.

ما لم تقله

وامتى الدهشة تجمعنا

رفاقة والقمر معنا

حصان جامع فى نـهر النور

صهيله جريء ولـه معنى

عايدة الأيوبي

تنفذ بقايا ضوء إلى الأتوبيس، فتغمر معظم الركاب بغبش متفاوت إلا قلمه هو، ذلك المتواتر الوصلات الكتابية، يآذر الأسطر والسطور ويرسم، لا، يمارس، لا، يشكِّل ذلك الشبق الجنوني، تتراقص بعض الكلمات فى نشوة وربما فى فتنة من فتن المَسَدِّي[3] . النخيل فى الخارج يتألم متكاتفًا، ولافتاتُ الطرق لا توحي بمكان ولا تحدد بُعداً. جاهل الخطى لا يسير وإنما يُسار به... الانقلابات والمطبات لا تمنعه من الكتابة ولا تمنع الكتابة منه. ولا المسكنات تصرفه عن قذف عصير الوجدان.. الغباء الطافح من أعضاء الكراسى مفكوكة

[3] عبد السلام المسدي، أستاذ جليل وناقد تونسي من كتابه فتنة الكلمات.

المسامير ينتشر ويتخلل الأنوف. النخيل يتكتَّل ويسدُّ مسامَ الطريق...

(الجدة جالسة على المصطبة بجانب الفرن. يصطفون حولها صامتين: عيونهم أطراس دهشة وآذانهم ترق لشغاف الحكايات. حواديت الجدة الزاخرة تجلسهم مستفسرين، يلحُّون عليها فى الإكمال وتتحجج بأنها مجهدة... الديك والتعلب، أمنا الغولة، راصد الكنز، السندباد، على الزيبق، على بابا، خيبة... وعندما ييأسون من إجهادها يقفزون خارج البيت ويتحلقون حول (الطرمبة).

التعلب فات فات

وفى ديله سبع لفات

الدبة وقعت فى البير

وصاحبها راجل خنزير

عندما يتعبون من اللف يجلسون، يبدأون فى تمثيل ما حكَتْه الجدةُ لهم ويتخيلون ما لم تقله...)

لم يكن القطار يمر على (البلد)، ولن يمرَّ، وربما لذلك لم يحلموا يوماً بالسفر. فقط يقفون فوق سطح البيت، يراقبون أسراب الحمام ويتماوجون مع تموجات أجنحتها. وبالرغم من محبتهم الشديدة للحمام، فإنهم يغتاظون عندما يعود إليهم فى آخر النهار. فلا يذهبون إلى الجدة - كانوا يتمنون أن يرحل الحمام ويرسل لهم الصقر يأخذهم بين رجليه ويطير بعيداً...

هذا هم تطاردهم القطارات كأنهم لصوص وهم يجرون حتى يلحقوا لهم كرسياً فى القطار من مخزنه قبل أن يمتلئ. يسرعون والقطارات تنبح من كل مكان معلنةً حادث سرقة، وربما اغتيال. يعدون ويحرصون على ألا تحيط بهم القضبان كي لا تدهسهم العجلات.

1997

الأصفياء

يا نجمة ياللي هناك بعيدة

شايفاك زيِّي فى الليل وحيدة

لسة الليالي ع الشوق بعيدة

وياما عشنا والقلب حاير

حنان ماضي

ألا تعرفون أحبائي أن مهرجان القلعة سيبدأ غداً؟ أهلاً به وبذكرى عام مضى، بالتأكيد سنحتفل غداً. سنتسابق إلى الاتوبيس، سنهبط قبل المحطة ونمر على المدافن العتيقة بنفس الشارع بعد أن نتجه يساراً. سيقول لنا سراج وصفى قصيدة وهو يحاول أن يقرأ تواريخ إنشاء المدافن. هل تعتقد أن سراج يستطيع أن يأخذ تصريح بالغياب ليحضر المهرجان؟ يا حسرتنا على سراج! أتذكرون ساعة أن بدأ وجيه عزيز بالغناء وأخذنا نردد وراءه كلمات فؤاد حداد:

- فنان فقير على باب الله، والجيب ما فيهش ولا سحتوت، والعمر فايت بيقول آه، والقطر فايت بيقول توت، صحيتني ليه يا شويش يا شويش ما أنا كنت سارح فى الملكوت؟

أتذكرون؟ ساعتها صعد سراج إلى وجيه واحتضنه. فصفقنا لهما وأعيدت الأغنية مرة أخرى. لحظات كانت لنا ياليتها دامت لنا، ليت أن سراج كان معنا. أظنه يقاسي الأمرَّين الآن وهو لا يستطيع أن يحضر المهرجان.

سينصرف عنا نجاح عبد النور للحظات ويحضر لنا أكياس الشيبسى، فنتخاطفها ويقف صامتاً مبتسما رقراقاً كعادته، ينشر حولنا سماحته ويترنم بعشقه الأبدى للفن والبشر. الله يرحم أيامك يا نجاح! ماذا عساك تفعل فى صهد الكويت ومهرجان القلعة – موسمنا السنوى – قد هلَّ علينا؟ من سنخدعه، نتمسكن عليه فيحضر لنا العشاء؟ من سيسامحنا؟ من سيأجج شعلة القلم؟ من سيصعد القلعة ليتنفس

من عبق الجدران فيصعد إليه الحراس وينزلونه ظانين أنه سيقوم بفعل مخل؟

سيجلس ايهاب عباس يتأمل الجدران فى صمت، سيملأ رئتيه من عبق التاريخ، سينهض، سيجرى فى فضاء القلعة، سيصرخ بأعلى صوته:

- أنا أجْري وسط التاريخ يا أولاد.

سنجرى وراءه فى شبه مظاهرة تاريخية، لحظتها سيلاحقنا الحرس ويخرجوننا بالقوة اللطيفة! كيف ستستقبل هذا اليوم يا ايهاب وأنت فى أسبانيا منذما لم تحتمل مرارة التدريس هنا؟ أو تحتمل الغباء الطافح من رؤوس الوطن؟ هل ستستطيع المجىء؟ أظن أن الفترة جد قصيرة ولا تسمح لك بالحج إلينا.

سيجلس جمال الجزيرى يستنشق نغمات العود ويملأ وجدانه بالرقرقة الأسطورية، يترنم بأناشيد الحياة ويلقى

السلام على الموتى الذين جاءوا من المدافن ليستمعوا إلى عبقرية الأداء. سينظر إليه سراج بود، ثم يقول لنجاح:

- أخاف عليه من تفاؤله هذا، وأخاف أن يأتي يومٌ يلعن فيه كل شيء.

أين أنت الآن يا جمال؟! ها أنت الآن وحدك وقد رحل أصفياؤك ولا تستطيع الآن أن تسافر إلى خطيبتك. التهم حنين شمس الغروب، وأكملْ قصتك علَّكَ تجد فيها السلوى. أكملْ، مالي أراك تترك القلم؟ تسقط دمعه وتقذف بكوب الشاى فى عرض الحائط؟!...

1998

وما هو بماء

أحاول أن أخرج من تحت ركام الألحفة، لسعة البرد تنظر إليّ بتحد وجسارة، فأنهزم وأنكمش. آخر يوم فى السنة، (سخيف أن تتغيب عن المدرسة)، يقولون. نصحني أحدهم بضرورة حضور أول يوم فى السنة وآخر يوم... يقهقه البرد متشفِّيًا. تسري قهقهاته فى أذني فأمسك بأطراف الألحفة وأثبِّتها تحتي.... أرفع الركام قليلا، أحاول أن أتلصص على مفردات الطبيعة حولى. تنتهكها الحركة الوئيدة لبعض السيارات... تتسلل يدي إلى مفتاح المذياع بجانبى: يقذف بنشرة السابعة والنصف، تتطاير القذائف وتغزو الفراغات الضيقة تحت الركام وتُسقط جثة طفل عراقي، فأزيل الركام بلهفة وفزع: أمسح جبينه، أقبِّله وأوسِّده شراييني وأوردتي، تئز فى قلبى النبضات المخضبة بالدماء المبتسرة، فألعن العالم وكل الحكام... (**أمي تحترق، مزَّقوا أبي، الجوع موّت أخي وأختي، كان بيتنا يهتز وكانت السماء حمراء، النار تجري فيها وتحرق كل شيء**) لا تبكِ

وليدي، فذنبك... سامحْني على دموعي التي أرّقت جروحك... يبكي البرد وينهار. يأمر بانسحاب كل أعوانه. أربِّت عليه، أحمل الطفل فى حنان القلب، أغّسّله بماء دافئ، ارتدي السواد، وأخرج إلى المدافن...

ديسمبر 1997 أو 1998

وكفى؟!!

المذياع يتراقص منتشياً بقدوم عام جديد. يحتضن آلاف الجماهير فيتصلون مهنئين، تتدخل الأغنيات لتلعب دورها، يعتذر المذيع فى أسف شديد: سيقطع البرنامج لإذاعة موجز الأنباء: جنازات جماعية فى العراق. الكويت تحشد على الحدود، وروسيا تهدد. الثنائى المرح يلهو ببعض القذائف الفتاكة. تزغرد شفرات النساء العاريات فى الطائرات وهن يتحسس مطلقى القذائف بعد كل طلعة ثم تستقبل الشفرات قذائف من نوع خاص.... يسكن إعصارُ موجز الأنباء، فيعود المذيع ويكرر أسفه على انقطاع البرنامج، يسأل إحدى الجماهير (أين ستقضين الكريسماس؟) (حجزنا فى الطائرة على نيويورك) (ماذا تحبين أن تسمعي؟) (مايكل جاكسون).... يخمد الإعصار وينحسر عنِّي ما تبقَّى من ثقة، تطفو تيارات الدم المحروق، فأقذف بالمذياع فى عرض التاريخ وطول القرن... أترحَّم على يوم قد يجئ. أمسك موس حلاقة، أقطع أوردتى، ألطخ صور زعماء فى جريدة

بالدماء، أمسك القلم ، أكتب هذه الكلمات الهزيلة، أصرخ، أتهاوى. (نهاية غبية متفلسفة ومتحذلقة، اليس كذلك ؟ ملعون القص بهذا الشكل!)

ديسمبر 1997 أو 1998

انتظار

تصارُعُ أفكاري يزيد رأسي حرارة. يلهبها دمُ أبي الصريع وألسنةُ النار التى انطلقت على كل الركاب من أيادي غبية تحت لحى شعثة. لا أتحمَّل أصواتَ ورشةِ النِّجَارَةِ الزاعقة أسفل العمارة. مشتبكة الأمور أمامى. لا أستطيع أن أهرب من بين فكَّي تلك الآلة التى تمزِّق أفكاري. ألمٌ بشع. فلأمسك رأسي بيدي كي لا تنفجر... يدي تعبَتْ! أين المنديل؟ ها هو، فلأربطها به.

صوت الأذان الزاعق فجأة من كل الجوامع، والذى لا يوجد انعكاس له (كُفَّ عن الفلسفة) يهزُّ جدرانَ الشقة، ويتوغل فى أذنى، مساعدا الصداع على التسرطن داخلي. الأصوات الزاعقة بمصادرة كتابي تحبسني داخل ذاتي. مَنْعُه يجرِّعني العذابَ قطرةً قطرة كزهرة الزهور[4] التي فرض أبوها عليها أن تلبس ملابس الرجال وتتجرع تغييب أنوثتها كل لحظة. يبدو أن شهر رمضان ذبل وتلاشى تحت الأنقاض

[4] ربما كانت بطلة رواية ليلة القدر للطاهر بن جلون .

والأثقال. هل (إياجو)[5] مازال حيًّا يحرِّك الدُّمَى من مكان غير مرئيٍّ وينصب شِرَاكَه الرقيقة؟...

من الأفضل أن أقفل الشباك، كل الشبابيك، وأسمع الأذان بصوت خفيض من الراديو. جرس تليفون؟ أيُعقل أن يكون يسأل عني؟ ألو: "صديقي العزيز. سأجيء إليك". صديقي[6] العزيز سيجيء؟! يا لكرمك يا رب! سيخفف عني، سينصحني بالتأكيد ماذا أفعل. يعرف كيف تُفَكُّ الأمورُ المتشابكة. تتشابك أصوات الورشة وتتصاعد محطمة كل الشبابيك. لا يهم. سيجيء وأعود إليَّ. النور المشرق من بصيرته يذيب الظلمات.

أجهِّز له أكلاً حتماً يجيء. لابد أنه جائع. ها هو المطبخ. أستمع لأم كلثوم وأنا أطهو. فِعلا "أمل حياتى ما ينتهيش" .. أمل حياتى آآآآآه يا أمل حياتى ! اين انت الآن يا...؟ تبعدنا دوامات الحياة والحاجة الملحة إلى مكتبات

---

(5) الشخصية الشريرة فى مسرحية عطيل لوليام شكسبير .

(6) الصديق العزيز بطل رواية كتابة الذى تم اغتياله فى يوم فاصل فى تاريخنا على أيدى من يهوون المصادرة والتكفير والاغتيال.

القاهرة فى ظل مركزية التخطيط وطريق البحث عن موضع لنا فى المستقبل. (فلسفة مره ثانية!) ما كان بُعدي عندك بيدي، إنما البحث والغد والكتابة لكي نكون أقوى عندما نجتمع. اعذريني سيدتي على بُعدي . راجعٌ لكِ بالتأكيد فلا تعرفين كم اشتاق اليك وكم أستضئ بنور عينيك... معقول؟ هل عندى تليفون؟ قدَّمتُ طلبا لتوصيل خطَّ تليفون منذ عشر سنوات. دائما يقولون إنه سيُوَصَّلُ قريبا...

يا إلهي! صديقي مَنْ؟ ألمْ يُرَحَّلْ منذ عشر سنوات إلى الواحات؟ أعوذ بالله من الرجيم ؟ أين التليفون؟ ما هى الدقات التي سمعتُها إذن؟ لكنه فعلاً صوت صديقي. كم حلمتُ به ينساب فى أذني، نازلا بردا وسلاما عليَّ، فيطفئ الجمرَ الذى أتقلب فيه وعليه...

ما هذه الرائحة؟ هل ينقصني هذا؟ الأكل يحترق؟ ألا تكفي أصوات الورشة القاتلة؟ معذرة صديقي، لن نجد شيئا نأكله حينما تأتي وأنا أعرف أنهم يجوِّعونك. صديقى؟ هل

كلمني حقاً؟ ممكن. نتصل دائما عن طريق التليباثى كأننا روح واحدة فى جسدين مفرقين.

لكنه لم يتصل بى منذ فترة! هل عذابُه فى عزلته الإجبارية جعله يخالف بصيرته؟ لا، قال لى قبل ترحيله انه سيرجع. أتذكَّرُ كلامَه جيدا: "السلطة بدون توابل ليس لها طعم. لما كل شيء يتجمع فى يد واحدة، يصير كل شئ بلا معنى. مؤكَّد أن أناسا آخرين يعيشون على كواكب أخرى. سأعود".

اتصاله اليوم يؤكد أنه قريب. لابد أنهم أخرجوه من المُعْتَقَلِ بالواحات. هل هو فى طريقه الآن إلى أسيوط؟ أيكون قد وصل بهذه السرعة؟ طرقاته على الباب أعرفها جيداً. يجب أن أسرع وأفتحه. لا أحد. أمعقول أن تكون هذه الطَّرقات مجرد وهمٍ؟!!! لماذا أفكر هكذا؟ ديكُ فَجْرٍ يتوق لتضميد جراحه، لاستعادة إحساسه بالوقت والصياح من جديد. صوت الورشة يخرقني. أفكارى الممزقة تلتئم . تتجمع حولي من جديد، تخنقني. صوت صديق "يندهنى" بقوة.

سأذهب لأنتظره فى المحطة. لابد أنه ركب القطار من أسيوط الآن. أُحضر معطفى، فربما انتظرتُه حتى آخر الليل. صوت التليفون مرة أخرى؟!! لا، لن أرُدَّ. سأخرج لاستقباله. أمعقول؟ أين الباب؟ هل عرفوا أنى صديقه فسدّوه؟ والشبابيك أيضاً؟!!

لو كان معي شنيور!! السكين. أنبوبة البوتاجاز. رِجلُ المنضدة. سأخرج. غبار الأسمنت خانق. الطوب يتكسر ببطء. الأنبوبة ثقيلة. تسلُّخات فى يدى؟!!! قالب الطوب يعاندنى. يـ... ع... ا...ن... د... ن... ي... يصطدم وجهى بالحائط. نسمات الهواء المندفعة تنسيني الألم. أسحب نفسي للخارج. تدور كل الأشياء حولي وداخلي. صديقي ملقى على الأرض. ثقوب طلقات الرصاص فى جبهته عميقة!! عميقة!!! شئ فظيع! فظيع!!!!! لسانه مقطوع. كلاب. أغبياء. كل شيء غبي.

هزاتى العنيفة ترجرج الصرخات داخلي. تتبعثر. يلتقطها المسمار الطويل المدقوق فى صدره والمثبت أسفله.

عيناه اللتان تنظران إلى شفتي بابتسامة وليدة تمدان صرخاتى إلى عنان السماء. أنظر لأعلى: النور الممتد من قلبه يلقي السلام على كل النجوم ويصعد.

1996

محاورات أوديب

يقف أوديب على صخرة عالية، ربما تفصل بين مملكتين أو جمهوريتين: يرى جموعا تهرول إليه، تنادى بأصوات لا يحركها الهواء الساكن، فلا تصل إلى مسامع أحد. يصرخ فى البرية أنه لم يحل اللغز، فلا أحد يسمعه ولا عنوان يرتضيه.

يمر على هذين الشخصين الجالسين يثرثران باستفاضة تحت تلك الشجرة[7] التى بدأ يبرز فيها برعم صغير: يسرعان إليه ويسجدان، فيتعثر فى أحدهما ويقع. يرتد إليه بصره، ولكنه لا يبتهج كرؤية الأب لابنه ولا للامساك بقبس الفيض الآتي، بل يفزع عندما يرى مدى قذارة الانتظار، فيسرع إلى وسط المدينة صارخًا.

يقابل هاملت – جالسا يرتدى السواد، ويحتضن قسطا من البكاء – فتنساب دموعه، ربما تعاطفا وربما رثاء، وربما

---

[7] ربما كانت شجرة صمويل بيكيت اللعينة فى مسرحيته الجهنمية في انتظار جودو .

لرغبة دفينة فى البكاء، ثم يتوسَّد الأرض بجانبه... يستيقظ فلا يرى أحداً بجواره.

يرى أحد الرعاة فليعنه. ولكن الراعى يستقبل اللعنة ببشاشة، فيصمت أوديب ويستسمحه.

- منذما خرجت يا أوديب لم نجد أى شيء.

- أنا؟! .

- حتى أطفالنا لم يجدوا الملجأ أو الأمان.

- أنا؟!

- نعم أطفالنا. انظرْ إلى عظامهم، مبعثرة فى كل مكان، "نَفَقُوا" وهم يشتهون حتى أوراق الشجر ليخصِفُوا منها فى بطونهم .

- أطفالكم؟!

- نعم أنت يا أوديب.

يقف ذاهلا، وربما لأنه لا يفهم شيئا، فإنه يجرجر أذياله ويمضي فى صمت مطبق وضجيج أطبق...

عندما تبدأ قدماه فى الشكوى، يجلس بالرغم من أنها ضفة ترعة مليئة بالقاذورات... يرى... طفلين عاريين تماما يسبحان وسط القاذورات ببطء شديد، ينادي... لا يرد عليه... أحد، يصرخ: يلتفتان، فيشير إليهما...

- أطفال من أنتم؟

- هل نحن (أسفال)؟ أتستهزئ بنا؟

- إذن، من أنتم؟

- لا أحد.

- هل رأيتما عظام الأطفال؟

- ما "ذلك" الأطفال الذي تتحدث عنه؟

- ألم تسمعا عن الأطفال؟

- لم نأكل لحمة حتى نرى عظامه.

يتذكَّر جلساته وقت الغروب مع جوكاستا وأمنيات الجواري تتحلق حوله فيبادرهما: "ما رأيكما فى...؟" لكنه سرعان ما يصمت، فلقد تركاه يتوكأ على أغصان أفكاره. تتنكر الأغصان لبعضها البعض وتتركه أعزل، فيقاوم السقوط في الترعة ويفرُّ إلى الطريق المتاح، تتيح له قدماه أن يمر على عجوزين يلعبان "السيجة" على حافة طريق مستساغ، يفاجئهما:

- ما بال الرجال قطعوا أوقاتهم فى حواف الطريق!

- ما بالك أنت يا أبله تتكلم بألغازٍ وفوازير!

- أقسم لكما أنه لم يكن هناك لغز.

- لا تقسم، فإنك مثلهم تقسم وتعد، وفى النهاية نجدك ذئبا يرتدى ثوب النعاج.

- النعاج التى كان يرعاها الراعى عند حافة الجبل؟ هل رأيتموه؟

- لا نحب أن نستمع إلى من "يلاوعنا".

- لا تحبوني. فقط إذا مرَّ عليكم ملكٌ بعربته وحوله حراسة قولوا له أن يمر من طريق آخر.

- كفاك ألغاز وابتعد قبل أن نأكلك.

ينهمكان فى لعبهما، يبصرهما رجلا عجوزا عند ملتقى ثلاث طُرق، فيفر هارباً... تكاد تدهسه عربة لو لم يلقِ بنفسه فى الترعة: تتلقفه أياد كثيرة مثل أياديهما، فيشكرهم...

- من أنتم؟

- لا أحد.

- لقد سمعت ذلك من قبل.

يفشل فى التذكر. تزداد دقات قلبه عندما يحس أنه بدأ ينسى كل شيء، فيلقي برأسه فى جذع نخله مجاورة، ويفقأ عينيه.

انغماس

أجلس على مكتبى. أندسُّ فى كتبى. أستغرق فى القراءة:

- ألن تنام يا حبيبي؟

- ليس بعد.

تخرج. أعود إلى كتبي. تعاود عيناي الغوص. أقلب صفحة. تدخل وفى يدها كوب ليمون.

- أرهقتَ كثيرا. قُمْ استرح يا حبيبى.

- صفحات قليلة.

تصرخ فى وجهى. تلعن الكتب وكل شيء. تمسك بأقرب كتاب. تمزقة. يعتريني الذهول. أظل صامتا. أتأملها، أتعجب لسلوكها. أرى يدها تمتد إلى كتاب آخر:

- سأنام، سأنام، دعى الكتاب مكانه.

أخاف أن تمزِّق كتاباً آخر. أتذكر شبابي القريب. شراء كتب. استعارة. قراءة. أنهض. أنام... عندما أجدها مشغولة، أستحثها للنوم. أتعوَّد النوم فى العاشرة. أتناسى كتبي. لا أقربها مخافة أن تمزقها...

هامش: تتغير الابتسامة. تنفر منى. أدعوها لتنام، تصرخ فى وجهي، أخرج، أزور صديقا... أعود، أجدها تقرأ على مكتبي.

1993

تعالٍ أحمق

بجانب الجامع العتيق بالقلعة العبقرية ستجد الموسيقى تداعب نسمات الهواء المحمَّلة بنكهة الجغرافيا ورائحة التاريخ وذرات الهواء التى تشي باتساع الفضاء وانديداح المسالك. بعد أن تفرغ من ثرثرة السيدات اللاتي لا تعنيهن الموسيقى فى شيء، ستحمل كرسيك إلى نهاية المسافة لتجد لك مكاناً هادئا تستمع فيه إلى الموسيقى بعيداً عن الالسنة الطويلة وجلسات النميمة فى القلعة أمام الموسيقى.

لكنك ستنتظر بجانبك لتجد شباباً يلبسون سلاسل ما أنزل الله بها من سلطان، يرتدون ملابس تُزهق العين المتطلعة إلى الجمال، يقصون شعورهم قصات تذكرك بالحمير المقصوصة والفئران المحروقة والنساء الصلعاوات، ستجدهم يدورون حول نخله من نخيل القلعة التاريخي، يضغطون عليها محاولين أن يوقعوها أرضا. يقهقهون عندما يرون النخلة تترنح، يلقي أحدهم ببعض الكلمات البذيئة فى فرج إحدى البنات الممتلئات فتغمز له

ويسيران سويا إلى حيث لا تدري على وجه اليقين. سيزداد ترنُّح النخلة، سيصرخ فيهم أحد الجالسين: "احذرْ أن توقعوها علينا". تصرخ أخرى: "انتظر إلى أن آخذ الولد"...

كعادتك الغبية ستنظر إليهم باحتقار، ستدعهم يقتلعون نخيل القلعة التاريخي وستجذب كرسياً فى يدك وتذهب إلى أحد أطراف القلعة، ستلقي نظرة على المدينة التى تداعب النوم وتجلس ضجراً تكتب: "بجانب الجامع العتيق.."

1997

فاتح عظيم

قالت: "أنا أمل جديد"[(8)]، فهمتُ المعنى الحرفي لكلامها بالرغم من أن هذا الكلام ليس له أية علاقة بها. فهى ليست (أمل) أو (عمر) أو (هند[9]) لكنها قالت: "لست صندوق البريد"، التبس على كل شيء: أشار عليَّ أحد أصدقائي بأنها تعاني من "تناقض وجداني"، ولأننى لا أثق سريعاً فى المسميات والعنونات، لم أصدق كلامها ولم أسترح إلى كلام صديقي. فقط قلتُ: "ربما هاجمتها نوبة حداثية".

كانت عيناها تشعان مكراً غريباً وابتسامه تتثعلب على شفتيها الضامرتين، تروح وتجيء فى أركان الغرفة، لا تستقر على أى موضوع ترتضيه أو أرتضيه، حتى إنني طوال تنقلها لم أستطع أن أبصرها كاملة فى نظرة واحدة حتى لو طالت، بالرغم من أنها ليست ممتدة فى أرجاء المكان ولا يزداد جسمها عن جسدى.

[(8)] هذا الاقتباس والاقتباس التالي على لسانها من أغنية المطربة أنغام بعنوان "من بعيد"، كلمات: عصام عبد الله.

[9] أمل وعمر وهند شخصيات في كتاب االلغة العربية بالمدارس الابتدائية في مصر في سبعينات وثمانينات القرن العشرين.

عندما وجدتْنى جالساً ذاهلا لا أفقه لها قولا، ارتدتْ فستانا كانت قد صنعته من تلك الستائر التى تعمل بالطاقة الشمسية، آسف، لا تعمل ولكنها تخزن ضوء الشمس وتشعه عندما يأتي المساء... وفى الصباح خرجتْ تجوب كل البلدان – هكذا قالت...

عادت فى بداية المساء ووجهها متهللاً بالبشر ولذة النصر... لم تسترح أو حتى تلتقط أنفاسها وأطفأت المصابيح جميعاً. فتحت النافذة وتقرفصتْ... لم أستطع أن أستوعب ما يجرى أو يحدث... وبالرغم من أنني كنت أرى بعض الأضواء الخافتة تشع منها، فإنني لم أدر ماذا أفعل، فوقفت صامتا...

ولما وجدتنى ذاهلا لا أفقه لها عملا، قذفتْ بنفسها داخل الغرفة وأسرعت إلى مكتبي: أخرجتْ ورقة وقلمًا وكتبت اسمها بخط متناسق كبير بالرغم من اهتزاز يديها. طوتها وأدخلتها فى مظروف أسود. تركت الغرفة مسرعة فأسرعتُ وراءها على السلم. وجدتُها تُدخل المظروف فى

صندوق البريد الخاص بي وتنظر إليَّ كَمَنْ حققت انتصارات جليلة تليق بفاتح عظيم... أطلتُ النظر... اليها ثم تركتها وخرجت إلى الشارع علِّي أُعيد النظرَ في شريط حياتي.

أوهام حداثية

قال إنه يريد أن يسمع لي. لم أجبه فقد كنت منغمساً تماماً فيما أكتبه، ولم تكن لديَّ رغبة فى الكلام المرتفع أو حتى المنخفض. لذلك تعمَّدتُ أن أوحي له بأنني لم أسمعه. أخذتُ أكتب... سمعته يكررها ثلاث مرات، ولما لم يجدني أنصت إليه قال: "يبدو أنك أنت الذي تريد أن تسمع لي"، وخرج...

توقف القلم فجأة، ربما بعد فترة طالت، فانتبهتُ. أدركتُ أنه كان يسألني عن سبب عدم تجهيزي الشاى له كالعادة، فأخذت فى الضحك. علا صوتي فجاء على أثره. ولما رآني أضحك ضحك ويبدو أنه نسي... ما كان.

بادأني بالكلام: "ألم أسألك ثلاث مرات عن سبب انقطاع التيار الكهربائي؟" نظرتُ إليه بذهول حائر ولم أستطع أن أتفوَّه بأي حرف يمكن أن يُقال فى مثل هذه الحالة غير العادية...

لأول مرة أنتبه إلى انقطاع التيار. لكن كيف أنتبه وصوت المسجل مازال ينشر أريجه فى الهواء المحمل برائحة الدخان؟ لا، لم يكن محملاً برائحة الدخان، فلقد توقفتُ عن التدخين منذ فترة قد تطول. الصمت حيرني... أخذ ينظر إليَّ: يحملق ويتفرس فيَّ، وبعد أن يأس من محاولة ردِّي أو حتى الكلام مهما كان نوعه تركني وخرج...

خرجتُ وارءه مباشرة أسترضيه وأحاول أن أعيده، لم أجده فى أى مكان أو أعثر على أى اثر... له، حتى الشوارع كانت خالية من أي شيء أو أي شخص. صرختُ، لم يرد عليَّ إلا الصدى المترجرج فى أرجاء المكان يملأ أذني بالضجر. ناديتُ بكل الأسماء وبكل اللغات وما هناك أحد... فرجعتُ صامتا... بعد لحظات وجدتُني أتجمد وتتلاشى قواي تماماً فاستسلمتُ و...

تسرُّب

ستقرأ إعلاناً فى جريدة ما: "مطلوب مطربون ومطربات." ستلمع عيناك ببريق (هي فرصة، ربما...) وستتذكر ما تقرأه فى الجرائد عن المطرب الذى دفع مليونَ جنيه ضرائبَ. ستراودك عيون الجميلات وانتفاضة الجسد أمام الجمهور. ستجدك راكبا سيارة لم ترَ لها أختًا من قبل وسترى المال يتسرب من بين يديك فلا تعبأ به. ساعتها ستمسك القلم وتبدأ فى الخربشة بكلمات (حتكسّر السوق). ربما تكتب (بصيت أنا من الشباك، لقيت عيونه على السِّبَّاك، ترمي هوانا بره هناك، وتقول أنا ما أنفعش معاك)...

ستحاول أن تلحن الكلمات لحنا (يخلي البلد كلها ترقص). ستتزاحم أمامك صور الشباب الذين يتهافتون على شراء نسخة من ألبومك الغنائي الأول. سترى أنك (لازم أعمل حاجة ما حصلتش، لا تقولى حكيم ولا تقولى عمرو دياب). ستخط بعض الكلمات (سابنى وفلسع - بدأت أنا ألسع – لا أشوف ولا أسمع، إلا هواه).

ستهل عليك كاميرات التليفزيون فتجلس (على راحتك، ما أنت راجل مهم بقى). ستجيب بكلمات غامضة وستحس بالنشوة عندما تطلب منك مقدمة البرنامج أن تفسر لها بعض الأشياء التي لا تفهمها أنت أصلا. وستعدل من وضع رابطة عنقك عندما تسألك عن رأيك فى العولمة. ستحاول أن تقول كلام كبيراً وستنظر إليك المذيعة فى دهشة من قدرتك الفذة على ربط الظواهر ببعضها. ستدهش بالطبع من غبائها، لكنك ستمتدح حوارها الذكي وستقول لها متواضعا: (نعمل إيه؟ لازم المطرب يكون مثقف ويفهم فى قضايا جمهوره والعولمة). لن تنسى بالطبع بعد أن تبتعد عنكما الكاميرات أن تعدها باللقاء، ولن تنسى هى أن تعدك باذاعة أغانيك كل ساعة فى التليفزيون...

وأنت خارج سيسألك الصحفى اللامع (اللى داخ عليك السبع دوخات) عن عبقرية أغنيتك المعجزة (يا ميكروباصنا يا ميكروباصنا، على فين واخدنا يا ميكروباصنا). ستبتسم ابتسامة المتواضع كأنك (عارف الكبيرة والصغيرة) وتقول

إنك تعبر عن نبض رجل الشارع وتريد أن تصل من المحلية إلى العالمية، لن تقول بالطبع إنك لا تعرف معنى المحلية أو العالمية، فأنت تعرف كل شيء ويجب أن تكون لديك إجابة عبقرية عن كل سؤالٍ. لن يفوتك بالطبع أن تعده بهدية عظيمة ولن ينسى هو أن يعدك بنشر صورتك وأخبارك فى الجريدة كل يوم...

عندما ينصرف الصحفى ممتنا للحوار (اللُّقْطَة) ستنظر حولك فتجد كوب الشاى قد برد والهواء طيّر أوراق الجريدة، ساعتها ستضع علامة استفهام على تلك اللحظات المتسربة من حاضرك وستضغط على زر جهاز التسجيل لكى تكمل سماع وصلة صباح فخري الغنائية.

1998

ولاد الحرام

ستجد نفسك بعد الثانية صباحاً واقفاً تلوح لأي ميكروباص. ستركب بالطبع بعد فترة ما، وستجد بجانبك ثلاثة أو أربع أشخاص، لكنهم سينزلون واحداً تلو الآخر بعد دقائق معدودة، وسترى نفسك وحيدا فى السيارة تفكر فى المسافة الطويلة المتبقية، تنظر إلى السائق لتتبين ما قد توحي به ملامحه، فتراه يحاول الالتفات للوراء كثيرا.

لن تتكلم بالطبع وستحاول النظر من الشباك علّك تتناسى ما قد يحدث، لكن أفكارك لن تدعك وشأنك. ستلحُّ عليك فى الدخول إلى العربة خاصة وأن راكبا جديد لا يريد أن يهلَّ على الطريق...

ستراودك أفكارك بأن السائق مشكوك فيه، لكنك ستسخر من تفاهتك، فما عساه يفعل وما فى جيبك إلا جنيهات معدودة؟ عندما ترتاح لسخريتك، ستنفي أى اعتداء قادم، وتجلس على راحتك تعبث بسلسلة المفاتيح...

سيدير السائق رأسه للوراء، ثم يعيدها للأمام، فيلعب الفأر فى عبِّكَ، وتبدأ فى التحفز واستنهاض قواك المنسية. ساعتها سيتوقف السائق تماماً ثم يتلفت إليك: "يا أستاذ تفضل خذْ أُجْرَتَكَ، لا زبائن على الطريق في هذا الوقت، وأولاد الحرام كثيرون، سأرجع". ستهمُّ أن تتجادل معه – لكنك ستجد نفسك تأخذ الجنيه وتهبط. ستقف حائراً فى الطريق تلوِّح لأية عربة قادمة، تلوِّح وأنت تداعب ابتسامة تحاول الصعود إلى وجهك.

مياه النـهر

كتب صاحبهم: (**تلقي الشمس بأشعتها البرتقالية على مياه النـهر**). لكنه بصق على قلمة وفركه تحت جزمته. كيف يكتب مثل هذه الأشياء المبتذلة وصاحبه رجل حداثى ضخم. أتى بقلم آخر وهمس له ببعض الألفاظ ثم شرع يكتب: (**تقذف الشمس بأشعتها السوداء على مياه النـهر**). زفر ولعن أشياء كثيرة فكيف لنص حداثي أن يجد لذة فى دَوَال مثل "أشعتها" و"مياه النهر"؟ بدأ يستريح قليلا، خاصة عندما بدر إلى خاطرة ما قد يقوله النقاد عن جمال الصورة وتشظِّي الوعي. ابتسم عندما تخيَّل ناقداً يدافع عن إزاحة المركز ومسخ الكائنات فى هذه الجملة العبقرية.

أخذ يفكر فى الطريقة التى سيكمل بها النص هل يكتب: (**والمدن الحجرية تأكل أطفال المجاري)**؟ لكنه لم يسترح لهذه الجملة. كيف له أن يستخدم عبارة مثل "المدن الحجرية" وقد استخدمها غيره من قبل؟ يجب أن يكون مبتكِرا، فسحب نفسا من السيجار وخطَّ: (**والمدن الأسمنتية تزدرد أطفال**

الاسمنت). مدد ظهره على الكرسى الهزاز وأخذ ينظر إلى ما خطَّه برضى وزهو، لكنه سرعان ما ساورته الشكوك حول كلمة "أطفال": هل يكتب حداثي عبقري مثله هذه الكلمة المبتذلة التي يفهمها العامة؟ لابد من ألفاظ جديدة تماماً، فكتب: (**والمدن الأسمنتية تزدرد أشباح الأسمنت)**. يبدو أنه ارتاح نوعاً فلقد بدأت عليه علامات البهجة. كما أنه قبّل القلم وأخذ ينقر به على كوب الزجاج أمامه. انشرح صدره عندما تخيل حوار النقاد وجدلهم...

ولما بلغ به الخيال أعلى قمة فى الجدل، أفاق على صوت ساعة الحائط، فلام نفسه على هذا الخيال، كيف له أن يتمادى فى الخيال وهو حداثي من المفترض أنه يرى الخيال شيئاً تافهاً يجذب العامة والقراء السذج؟ فوضع القلم جانباً: فليكتفِ بما كتبه وليدع النقاد يختلقون ويتجادلون حول عبقريته... وقرر أن يتوقف عن الكتابة هذه الأيام، فليجعل القراء يسألون عنه ويدوخون "السبع دوخات" وراء قصيدة

يترجُّونه أن يكتبها، وفى الوقت المناسب سيهل عليهم بقصيدة أخرى تصير فتحاً مبيناُ فى تاريخ الشعر.

حفلة الزفاف البسيطة

توقف صاحبهم، ليس رغبة من مشاهدة الحفلة، وإنما لأن أهل الحارة الطيبين يسدون الشارع. استفزه الشباب الذين يتراقصون على أنغام موسيقى سريعة بهذا الفرح... (**كيف ينتهك هؤلاء الجرذان الجسد بهذه الرقصات الرومانسية الغبية؟ حمقى يبتذلون الجسد المقدس.**)

عّدل من وضع نظارته الشمسية ونظر اليهم باحتقار شديد وبغلٍّ أشد، وكأنهم أعداء فَجَرَةٌ اغتصبوا أرضه ودنّسوا حرماتها. هّم أن يخرج مسدسه الذي يحتفظ به دائما لكي يقذف طلقة فى جسدهم الساذج حتى ينتصر "الجسد المقدس". لكنه استدرك تهورّه، خاصة وعيناه لم تستطيعا أن تحصرا أعدادهم: (**أين هم من ميتافيزيقيا الجسد وصوفية الأعضاء؟ أين هذه المُسخ البشرية من تناص الجسد وقتل المدلول الجسدي؟ جرذان لن يفهموا اللعب الحر لدال الجسد...**).

أخذت الأعداد تتزايد وبدأت الرقصات تنسجم وتتناغم مع الموسيقى البسيطة التى تنساب فى تلقائية وخفة، فالتقط صاحبهم من آخر ندوة جمهوره القليل جدا الذى ظل متململا لا يقوى على تحمل أعباء (النبوة) وهو ينزل عليه فيوضات شعره. وما كان منه إلا أن أطلق على أهل الحارة الطيبين نظرة غل موتورة... (**لماذا تتجمع هذه الآلاف الغبية حول هذا الشاب تافه الغناء؟ جمهور ندواتي لا يزيد عن العشرة. مجتمع غبي لا يعرف كيف يقدِّر العباقرة مثلي. ألا يعرفون أنني طوَّرتُ الحداثة بأن جعلت الجسد صوفى الإيقاع متحرر من المدلولات التقليدية...**).

اتكأ على الحائط بجواره. أشعل سيجارة. لعن انتهاك القيم وسبَّ تدنِّي الذوق وبدأ يكتب: (**الجرذان يسدون فتحات الأفق. يستولون على الجمهور الكافر ويقتلون جمهور الفيوضات الحداثية...**). توقف بالقلم وبدأ يفكر فى طريقة يهدي بها هذا الجمهور الضال إلى إشراقات شعره وآيات عبقريته الفريدة...

فشل فى أن يصل إلى طريقة، خاصة وأنه لا يعرف كيف يفكرون ولا بما يشعرون. فرمى قلمه وقرر أن يرحل إلى بلد آخر يجد جمهوراً يستأهل عبقريته وشعره الذى لم يسبقه إليه أحد.

اقتفاء الأثر

"الحياة وردة للى يرعاها"

فريد الأطرش

عندما ستكون جالسا على مقهى تدردش مع صديق، سيمر صاحبهم أمامك، ستراه يقتفي مؤخرة إحدى الفتيات البدينات، وعندما تنظر اليه باحتقار سيلتفت ليتأكد من أن أحداً لم يرَ نظرة الاحتقار، سينظر إلى المقهى بِحِيرَةٍ وقرفٍ، وستجده يعطيك ظهره ويذهب إلى الناحية الأخرى من الرصيف، يُخرج ورقة من جيبه ويدوِّن بها بعض الأشياء، سينساب العرق من على جبينه وسيبحث عن منديل لن يجده، فيتقدم نحو المقهى، يسحب كرسياً إلى آخر ركن ممكن ويشير إلى صبى المقهى بطرف إصبعه، ستنصت اليه محاولا ألاّ تلتفت ناحيته كي لا يقف ويترك المقهى، ستسمعه يهمهم للصبى. وسترى الصبى حائراً لا تبدو عليه علامات

فهم. سيشرد بعينيه، ثم يقف فجأة، يلعن نزار قبانى لأنه انتهك الشعر وجعله فى متناول العامة والغوغاء.

وما إن يهدأ حتى يجلس فى صمت شديد، يلتهم دخان الشيشة ويغيب مع تموجات الدخان... عندما يفيق نوعاً ما سينظر إلى مدخل المقهى، وعندما يرى شِيَشاً كثيرة فى أيدي الرواد، سيلقي المَبْسَمَ من يده وينادي على صاحب المقهى: (**يا أنت، يارومانسى يا متعفن، أتطلق سراح الشيشة لتصل إلى الغوغاء؟ انا لازم أدخلك السجن).**

وعندما لا يُعِرْه صاحبُ المقهى انتباها، سيجلس مكانه ويضع رجله فوق المنضدة فى وجه معظم الرواد. ثم يبدأ في الكلام كأنه يقرأ من ورقة أمامه: **(الجسد اللازوردي يغتال سواد الورق الأبيض، يتبوَّل فى مرآة العين الرومانسية، يوقد النار فى هشيم الكلاسيكية ويرفع راية الحداثة المشرقة...).** سينظر بعض الرواد إليه، ثم يتهامسون ويتضاحكون فيما بينهم، فيهبُّ واقفاً: **(انا غلطان لأني أتكلم**

مع ناس غجر مثلكم_ أفسدهم نزار قبانى، أنتم لا تستأهلون موهبتي) وينصرف.

سينظر الرواد إلى بعضهم متسائلين، فيهديء صاحبُ المقهى من استفساراتهم: **(الله يكون فى عونه! أصله شاعر حداثى)**. عندئذ ستجد عينيك تقتفيان أثره، وستراه يحرك يديه فى وجوه لا تراها، وسيفتح سوسته بنطاله ويتبول فى وسط الشارع، فتتأفف منه وتعود إلى كركرة الشيشة .

صورة

"إن فساد اللغة يعقب فساد الإنسان"

إمرسون

لن يستقر نظرها على شيء. فقط ستميل عليك وتهمس: **(كلام فى سرِّكَ وبقولها مُرة، عذاب بحسّه، عذاب وثورة)**[10] ، ستفكِّر أن تربِّت على كتفها، لكنك ستتذكر أن هذا عيبٌ في هذا المكان، فتواسيها بنظره متفهمة وتكتب لها بعض الكلمات علّها تهدأ... وعندما تجدان النظرات (الحشرية) تحاصركما ستنصرفان...

ستجدها كلها حيرة وقلق وتنظر إليك وتبادرك: **(ما هذه الغربة التى يُدخلوننا فيها بالعافية؟ هل قرأت آخرَ صورِ الشاعرِ الهمام؟)** ستسمع الكلمات تنهال عليك كبلطة تقتلعك من تربتك: **(دودة الشفق تأكل فى تشظى الكون)**. ستحاول أن تضحك ساخراً من الصورة، لكنك ستخاف أن تحسبك

---

[10] من أغنية (شدى الضفاير) لحنان ماضي. ك. كوثر مصطفى.

تضحك عليها، لذلك ستداري ضحكتك وتحتفظ فقط بنبرة السخرية...

ستقول لك: **(إن ظللْنا هكذا فسيموت الشعر على أعتاب القرن الجديد).** ستنظر إليها باستغراب، كأنك لا تفهم شيئاً فى مناورة منك لأن تستثيرها وتجعلها تستفيض، فدائماً تعجبك حيرتها ونبرة الطزاجة والصدق فى كلامها، لكنها ستفهم مقصدك، وستكتفي بالنظرة الحائرة. ساعتها ستميل إلى أقرب محلٍّ عصير... ستقدم لها كوب العصير وتقول لها: **(لا تقلقى سيدتى، فصاحب هذه الصورة قتل نفسه منذ أول ديوان له)**. وستجد عينيها تقولان لك: **(لقد قلتَ هذا الكلام من قبل)**. عند ذلك ستحاول أن تغيِّر الموضوع: **(إلى أين وصل ديوانك؟)**. ستُرجع الكوب فارغاً وتقول: **(لم يُنشر حتى الآن، ثلاث سنوات!!)**. ستكون قد أرجعت كوبك وستحسَّانِ بحرارة شديدة ورائحة عفنة تتسرب من مكان ما، ربما تكون رائحة بول صاحبهم فى القصة السابقة (اقتفاء الأثر).

عن المؤلف

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد الجزيري في 2 أغسطس 1973 بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. كاتب قصة وشاعر وروائي ومترجم وناقد ودكتور جامعي. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج 1995. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة 1998عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر1936 – 1961"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام 2002 عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف 1967 – 1987". يعمل منذ عام 1999 بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس، جامعة السويس بمصر وانتقل بعدها ليعمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في نفس الجامعة، ويعمل حاليا بقسم اللغات والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. وقام في يناير 2014 بتأسيس مجموعة سنا الومضة على الفيسبوك بالاشتراك مع الأستاذ عصام الشريف (مصر) والأستاذ عباس طمبل (السودان)، وهي مجموعة تعني بشئون القصة الومضة نظريا وتطبيقيا ونقدا وإبداعا. كما قام في شهر مايو 2014 بتأسيس دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني.

الاسم بالكامل: جمال محمد عبد الرؤوف محمد

اسم الشهرة والنشر: جمال الجزيري

الجنسية: مصري

فهرس